علاقة بريطانيا

بالملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله ١٩٠٢ - ١٩٢٥م

د. تركي بن محمد بن سعود الكبير

لم تكن بريطانيا بمعزل عن مراقبة الاحداث في أواسط نجد لكنها لم تكن مهتمة بها، حيث أن منطقة نجد في نظر البريطانيين عندما تمكن الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن من دخول الرياض عام ١٩٠٢م منطقة داخلية، وبحكم المدة التي قضاها الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن في الكويت استطاع بحكمته ودهائه أن يعرف الكثير بالنسبة لعلاقة الدول الكبرى آنذاك بالأحداث في شبه الجزيرة العربية، ولقد عرف أن لبريطانيا دوراً كبيراً بالنسبة للأوضاع السياسية في منطقة الخليج العربي وذلك لكون بريطانيا تعتبرها حلقة وصل مع شبه القارة الهندية والتي كانت تحت الحكم البريطاني ولكون بريطانيا تُعتبر المنافس الكبير للدولة العثمانية في تلك المنطقة، لذا رأى الأمير عبدالعزيز أنه من الافضل الاتصال بالانجليز ومحاولة الحصول على تأييدهم له.

وقد بدأ الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن في جس نبض البريطانيين حول التفكير في إعادة الاحساء وذلك في عام ١٩٠٣م، ومدى تقبلهم لتلك الفكرة ومقدار المساعدة التي يمكنهم تقديمها، فقام بإيفاد مندوب من قبله يدعى عبدالرحمن بن سلمان من كبار أهل الأحساء لمقابلة المندوب البريطاني في البحرين السيد «فاسكين». واخباره بأن هناك تذمراً من قبل المواطنين في منطقة الأحساء نتيجة سوء ادارة السلطات العثمانية لهم وأن التفكير يتلخص في ضم الاحساء إلى الدولة السعودية، وذكر المندوب

أن الأمير عبدالعزيز بعد أن تمكن من ضم القصيم يستطيع الآن دخول منطقة الاحساء لكن مثل تلك الخطوة لابد أن تلقى الدعم من الانجليز وذلك مخافة أن تقوم تركياً بغزو بحرى مفاجىء ضد الأمير عبدالعزيز في حالة تمكنه من ضم الاحساء والسؤال الذي طرحه المندوب هو هل الحكومة البريطانية تستطيع المساندة والمساعدة والتأكيد على ذلك فيما لو قرر الأمير عبدالعزيز ضم الاحساء؟

على الرغم من أن حكومة الهند البريطانية أبدت اهتماماً بالغاً بتلك الخطوة وأوصت بمساندة الأمير عبدالعزيز الا أن حكومة لندن كانت ترى أن مصالح بريطانيا لا تتعدى الخليج العربي وسواحله واكتفت بعدم تشجيع الأمير عبدالعزيز في خطوته تلك، لكن الأمير عبدالعزيز لم يترك الموضوع بل فكر مرة ثانية بإثارته من جديد مع البريطانيين فأرسل مبعوثاً خاصاً يدعى مساعد بن سويلم وذلك في فبراير عام ١٩٠٦م. لمقابلة المندوب البريطاني في البحرين السيد «بيرسى كوكس» وشرح له أن الأمير عبدالعزيز يشعر الآن أنه أقوى كثيراً من السابق بحكم انتصاراته المتلاحقة في نجد، ويستطيع استرداد القطيف والاحساء بمفرده اذا أمن من أي هجوم بحرى مفاجىء قد تشنه القوات التركية عليه في الأحساء، وقد أبدى المندوب البريطاني أنه لم يكن في موقف يمكنه من الاجابة على ذلك العرض بعد أن تمكن الأمير عبدالعزيز من ضم منطقة القصيم وهزيمة القوات العثمانية هناك وترحيلها إلى المدينة المنورة، فكر الأمير عبدالعزيز أن يستغل فرصة ضعف الاتراك في المنطقة لذا حاول من جديد التفاهم بشأن الاحساء مبتدئا ببعض الشروط وهي:

أولاً: أنه يقوم بالاتصال بالباب العالي ويطلب حكم منطقة الاحساء على أساس أنها كانت جزءاً من الدولة السعودية الأولى والثانية وله حق شرعي وتاريخي فيها وفي حالة قبولهم لطلبه هذا فإنه سوف يضم الاحساء إلى دولته، وفي حالة رفض طلبه هذا فإنه سوف يعمد إلى تخليص الاحساء بالقوة واخراج الاتراك منها، الا أن الانجليز لم يكونوا متحمسين لتلك الاقتراحات خوفاً من إثارة مشكلات مع تركيا: ولهذا فإن الأمير عبدالعزيز لم يبحث الموضوع مرة ثانية الا عام ١٩١١ خلال المقابلة التي تمت بين الأمير عبدالعزيز والكابتن البريطاني شكسبير عام ١٩١١ عندما زاره الأخير وكانت

أول مقابلة بين الأمير عبدالعزيز ومبعوث بريطاني، ويبدو أن زيارة المبعوث البريطاني كانت لتقصى الحقائق والتطورات السياسية في منطقة نجد ومحاولة معرفة مقدرة وقوة الأمير عبدالعزيز عن كثب ومدى تطلعاته بالنسبة للخليج العربي، ولم يكن في وضع يخوله إعطاء تعهدات بريطانية للأمير عبدالعزيز في حالة تفكيره في ضم الاحساء وقد عبّر الأمير عبدالعزيز أثناء المقابلة عن تصميمه على ضم الاحساء والحصول على منفذ بحري على الخليج العربي.

وبحكم أن الانجليز تمكنوا من جعل منطقة الخليج الساحلية منطقة هادئة بحكم المعاهدات التي تمت بين بريطانيا وأمراء تلك المناطق فان ابن سعود يستطيع ضم الاحساء بدون أي مساعدة انجليزية، ولم يتمكن المبعوث البريطاني من إعطاء أي تعهد أو وعد للامير عبدالعزيز وانما ذكر أن مقابلته تلك ليست لمناقشة أمور سياسية ولكن القصد منها التعرف على المنطقة وعلى الأمير عبدالعزيز عن كثب. ووعد بنقل هذه الاقتراحات إلى حكومته. لقد ظهر للعيان أن الرفض المتكرر من قبل الانجليز حيال طلب الأمير عبدالعزيز قد جعله في موقف صعب، وبدأ يحد من طموحاته السياسية وشعر بأن الانجليز لايرغبون في اقامة علاقات قوية معه طالما أنه لايملك أي موقع على ساحل الخليج العربي.

لهذا صمم الأمير عبدالعزيز على ضم الاحساء بغض النظر عن موقف الانجليز ومساعدتهم له، وعرف أنه عند نجاحه في عملية الضم تلك فانه سوف يكون حاكما لمنطقة تطل على الخليج العربي وبالتالي سوف يجد الانجليز أنفسهم مرغمين على القبول بشروطه سواء كان ذلك رغبة منهم أو خوفاً على مصالحهم هناك، وهذا ما قد أشار إليه المعتمد البريطاني في الخليج العربي السير / بيرسى كوكس Percy Cox في مراسلاته مع حكومته في لندن، ويبدو أن من الاسباب التي جعلت الانجليز يمتنعون عن مساعدة الأمير عبدالعزيز في تفكيره لضم الاحساء هو أن نجاح ابن سعود في ضم الاحساء يمثل خطراً على مصالح بريطانيا في الخليج العربي.

لقد عرف الأمير عبدالعزيز أن الأوضاع بالنسبة للاحساء تختلف عنها في الرياض اذ أن خصمه على الرياض كان أميراً محلياً بينما في هذه الحالة فإن خصمه

هي دولة تركيا ذات الشأن الكبير في ذلك الوقت. وهناك فرق بين الاثنين، لهذا فإن تصميمه على ضم منطقة الاحساء وهو في بداية عهده تعتبر مخاطرة كبيرة، كما أنه في حال انهزام قوات عبدالعزيز في الاحساء فإن النتائج ستكون وخيمة عليه ليس فقط في الاحساء فحسب وانما في منطقة نجد أيضاً، حيث لا تزال هناك منافسة بينه وبين خصومه في المنطقة، لهذا كان التوقيت مهما فيما يتعلق في ضم الاحساء. فعامل الوقت والسرية أمران ضروريان في هذه المرحلة ولكي يضمن عدم ردود فعل عنيفة من قبل العثمانيين، بدأ يراقب عن كثب المشكلات والهزائم والمصائب التي جابهتها تركيا في مناطق مختلفة من الامبراطورية وانشغالها في حروب ضد الايطاليين في شمال افريقيا عام ١٩١٢م وحرب البلقان وأوروبا (الصرب بلغاريا) وأمام تلك الاضطرابات وجدت تركيا نفسها في موقف حرج اضطرت تجاهه إلى استدعاء الكثير من جيوشها المرابطة من مناطق أخرى خصوصاً في منطقة بغداد والبصرة وذلك لإخماد الاضطرابات في أوروبا.

ويظهر أن الأمير عبدالعزيز كان متتبعاً لتلك التطورات الدولية والتي لم تكن في صالح تركيا وقد ذكر الكابتن ليشمان Leuchman والذي زار الأمير عبدالعزيز في ديسمبر ١٩١٢م أنه كان مهتماً بأخبار حرب البلقان وتطوراتها كما أن ابن سعود حاول اخفاء خطته تلك خوفاً من معارضة بعض القبائل القاطنة في منطقة الاحساء، لهذا فقد اعتمد الأمير عبدالعزيز في استراتيجيته لضم الاحساء على التوقيت المناسب والسرية وسرعة الحركة وأمام تلك التطورات قرر الأمير عبدالعزيز الزحف على الاحساء متخذاً السرية والسرعة وتمكن من الهجوم المفاجيء عليها، وقد نجح في عمليته تلك على الرغم من وجود مقاومة من قبل الاتراك هناك، الا أنه تمكن أخيراً من ضمها وسمح للجنود الاتراك بالسفر عن طريق البحرين مع العلم بأنه لم يلحق بالاتراك أية اهانة أو احراج، بل عاملهم معاملة طيبة.

عند بداية الحرب العالمية الأولى كان الأمير عبدالعزيز يعتبر حاكما في الجزيرة العربية، فمنذ أن تمكن من ضم معظم منطقة الاحساء والحصول على منفذ بحري على الخليج العربي بدأت بريطانيا تشعر أنه لا يمكن اغفال أهمية

ومكانة الأمير عبدالعزيز بالنسبة للاحداث داخل الجزيرة العربية وعندما دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى في نهاية أكتوبر ١٩١٤م ضد بريطانيا وحلفائها، وقد قلقت بريطانيا بإحراز تركيا بعض الانتصارات العسكرية المبدئية لأن ذلك سوف يساعد في وجود جو من عدم الاستقرار في المناطق الإسلامية التابعة للدولة البريطانية مثل ايران وأفغانستان، وهذا بالتالي سوف يؤثر على أمن واستقرار الهند، اضافة إلى أنه في عام ١٩١٤. كان الأمر آنذاك مهما بالنسبة لتزويد الاسطول البريطاني بالوقود حيث أن معظم الاسطول البريطاني قد تحول في ذلك الوقت إلى استهلاك البترول بدلا من الفحم، وأمام تلك الحقائق قامت الحكومة البريطانية بارسال قطاعات عسكرية من الجيش الهندي إلى الخليج العربي وذلك بقصد حماية أنابيب النفط واصدقاء بريطانيا في المنطقة وقد بدأ الصراع بين القوات البريطانية والعثمانية في العراق في نهاية اكتوبر ١٩١٤م، انتهى إلى احتلال الفاو عند مدخل شط العرب والبصرة من قبل القوات الانجليزية.

وفي ٢ أكتوبر ١٩١٤م قامت الحكومة البريطانية بإرسال الكابتن شكسبير، الذي تربطه صداقة قوية بالأمير عبدالعزيز وكان القصد من تلك الزيارة كسب الأمير عبدالعزيز إلى جانب بريطانيا ضد الاتراك، ولاشك أن تلك الخطوة تعتبر تحولا كبيراً في سياسة الانجليز مع الأمير عبدالعزيز حيث كانوا في السابق يعتبرون حكم الأمير عبدالعزيز حكماً داخلياً، ولاشك أن هذه الفكرة بدأت تتغير عندما تمكن الأمير عبدالعزيز من ضم الاحساء، وإلحاقاً لزيارة شكسبير قام الميجر نوكس Knox المقيم البريطاني في الخليج باتخاذ خطوة أخرى بأن أرسل خطاباً إلى ابن سعود يطلب منه التعاون مع شيخ الكويت والمحمرة في احتلال البصرة مقابل تعهد الدولة البريطانية بصد أي اعتداء يقوم به الاتراك سواء عن طريق البحر أو البر بالاضافة إلى الاعتراف به كحاكم مستقل في نجد والاحساء، ومن ثم ابرام معاهدة معه تثبت رسمياً تلك المقترحات لكن ابن سعود لم يقم بأي عمل حربي لاحتلال البصرة واتخاذ جانب الحياد وبدأ يقوى نفسه داخلياً، لأنه ليس على استعداد للتضحية بما أنجزه ارضاء للبريطانيين، بيد أن البريطانيين يرون أنه سوف يكون للامير عبدالعزيز تأثير كبير على

المناطق الواقعة بين كل من البصرة وبغداد والتي تقطنها قبائل عدة، وفي ٢١ ديسمبر ١٩١٤م وصل الكابتن شكسبير إلى مخيم الأمير عبدالعزيز في الزلفى والمجمعة وبدأ مناقشة طويلة معه حول الحصول على تأكيد من قبل الأمير عبدالعزيز لدعم بريطانيا ضد تركيا.

وقد دارت عدة مناقشات حول هذا الموضوع الا أن شكسبير قتل في ٢٤ يناير ١٩١٥م في موقعة جراب، قام بعدها السير بيرسى كوكس Percy Cox بمواصلة المناقشات مباشرة مع الأمير عبدالعزيز وتمت مناقشة بعض الاقتراحات المقدمة من قبل البريطانيين مثل السماح للبواخر التجارية البريطانية بزيارة موانيء الأمير عبدالعزيز وانشاء مراكز بريد وتلغراف وحماية طريق الحاج في منطقة نفوذ الأمير عبدالعزيز ولأحقيته في الحكم، لم يقبل ببعض هذه الشروط بل اعتبرها تدخلا في شئونه الداخلية فهو يرى مثلا أن حماية الحاج في منطقة نفوذه هو أمر تمليه عليه عقيدته الإسلامية ومصلحته الوطنية.

ولهذا فهو في غني عن نصيحة الانجليز في هذا الشأن، أما فيما يتعلق في أحقية وراثة الحكم فيصر الأمير عبدالعزيز على أن الانجليز ليس لهم فضل في وصوله إلى الحكم بل كان ذلك نتيجة لجهوده ولمواقفه الشجاعة وللمخلصين معه وهذا أمر داخلي يخصه هو وحده ولا يقبل من الانجليز التدخل في هذا الأمر. وبعد مفاوضات مضنية تم التوقيع على معاهدة (دارين أو القطيف أو العقير) في ٢٦ ديسمبر ١٩١٥م والتي اعترفت بريطانيا بموجبها بالأمير عبدالعزيز أميراً على نجد والاحساء وتقديم مساعدات مالية وعسكرية شريطة أن لا يقوم عبدالعزيز بالاتصال بدول أخرى أو عقد معاهدات الا بعد موافقة بريطانيا وقد رأى بعض المؤرخين أن هذه المعاهدة كانت مجحفة في حق الأمير عبدالعزيز بن سعود، لكن ظروفه المحلية أجبرته على قبولها وعندما تمكن فيما بعد من توسيع رقعة حكمه ونفوذه وضم الحجاز سارع إلى الغاء معاهدة العقير المذكورة أعلاه في اتفاقية جدة ١٩٢٧م، التي اعترفت به بريطانيا رسمياً ملكاً على الحجاز ونجد وتمكن من حرية الاتصال وعقد معاهدات مع الدول الأخرى بدون التقيد بالشروط السابقة في معاهدة العقير وأصبح بذلك مستقلا عن نفوذ بريطانيا وغيرها.

وعند اعلان بـريطانيـا الحرب عـلى تركيـا في اكتوبـر ١٩١٤م بدأ الانجليـز يفكرون في الحصول على تأييد من الأمراء العرب في الجزيـرة العربيـة ويبدو أن انهـزام الجيش البريطـاني (قلى بـولى) Galli Poliy دفع بـريطانيـا بوعـد العرب بإيجاد حكومة مستقلة لهم وكانت تعارض تركيا مثل ذلك الاجراء.

وقد بدأت تساؤلات كثيرة حول امكانية تزعم ابن سعود لتك الثورة اعتماداً على ما قام به من انجازات في الجزيرة العربية وقد رأى كثـير من النقاد أنـه كان من الاجـدر اختيار الأمير عبدالعزيز قائداً لتلك الثورة بدلاً من الشريف حسين.

فقد كتب الكابتن شكسبير في يونيو ١٩١٤م بعد مقابلته ابن سعود ما معنـاه «لقد وجد العرب الآن القائد الذي يستطيع أن يقف وهو مرفـوع الرأس فـوق كل زعيم» ولا شك أن موت الكابتن شكسبير المفاجىء في موقعة «جراب» قد حد من اعتراف بريطانيا وتوثيق علاقتها بالأمير عبدالعزيز كقائد غير منازع في وسط وشمال الجزيـرة العربيـة. ويبدو أن لقرب منطقة الحجاز من الاتصال المباشر بالقاهـرة - مركـز ممثلي الحكـومة البريطانية في تلك المنطقة - وفّر لها سهولة أكثر في الاتصال من منطقة نجد، أضف إلى ذلك أن موقع الحجاز الاستـراتيجي ربما يسـاعد عـلى عزل القـوات التركيـة في غرب الجـزيرة العـربية وهـذا بلا شـك سوف يقلـل من مخاطـر تعرض المـلاحة البحـرية البريطانية في البحر الأحمر للخطر.

وعندما تمكن عبدالعزيز من بسط نفوذه على بعض مناطق الجزيرة العـربية وجـد أنه من الأهمية بمكان اعداد جيش قادر على تحقيق طموحاته فبدأ دوره كقوة عسكرية لها دور كبير في عملية التوحيد لأجزاء المملكة.

ولا شك أن لقوة وشخصية الملك عبدالعزيز ومهارته السياسية والعسكريـة بالاضافة إلى أنه ينحدر من سلالة قادت الدولة السعودية الاولى والثانية اللتـين قامتا بتبني الحركة الاصلاحية في نجد اعطاه بعداً دينياً وسياسياً في تزعم حركة توحيد البلاد وقيادتهـا ولقد أبـدى الانجليز للشريف حسـين تخوفهم من تـزعم الأمير عبدالعزيز لتلك الحركة فهم يرون أنهـا امتداد للحـركة الاصـلاحية ابـان

الدولة السعودية الأولى، وقد بدأ الانجليز يتخوفون من قوتها اذ أن ذلك سوف يؤثر على الأوضاع غير المستقرة في الجزيرة العربية.

ولقد بدأ الأمير عبدالعزيز بتشجيع القبائل على الاستيطان في الهجر وتثقيفهم ثقافة دينية ومحاولة اقناعهم بالارتباط بالأرض والاعتناء بالزراعة كما كانوا يشكلون العمود الفقرى لقوات الأمير عبدالعزيز، ويبدو أن تلك التحركات لم تلق الاستحسان من قبل الانجليز والذين قاموا بارسال مندوبهم في الكويت الميجر ديكسون Dikson لتقصى الحقائق عن طبيعة وقوة تلك الحركة وحيث اننا كما ذكرنا سابقاً بالنسبة لتأييد بريطانيا للشريف حسين في سياسته ودعمها له حاولوا اقناع ابن سعود بالاتجاه إلى حائل وقد وجد عبدالعزيز أن تلك المطالب تتوافق مع مصالحة في نجد لهذا قام بإعداد قوات كبيرة والاتجاه إلى حائل ومحاصرتها.

وعندما تبين للانجليز أن انتصارهم على تركيا بات وشيكا أو في حكم المؤكد بدأوا يقللون من تأييدهم للأمير عبدالعزيز في حصاره لحائل وذلك بقصد ابقائه خارج نطاق حكمه علهم في المستقبل يستطيعون استغلاله ضد الأمير عبدالعزيز فيما لو فكر في ضم الحجاز ولكن الأمير عبدالعزيز كان متيقظاً لهذه السياسة فسارع في تشديد الحصار على حائل حتى يفوت الفرصة على مخطط الانجليز والذين كانوا يسعون من ورائه إلى تقسيم الجزيرة العربية إلى دويلات صغيرة يمكن في المستقبل السيطرة عليها حيث أنه في رأيهم لو تمكن الأمير عبدالعزيز من ضم تلك المناطق إلى دولته فإن هذا سوف يشكل تهديداً مباشراً لمصالحهم في الخليج ومنطقة الرافدين وسوريا وفلسطين، ولهذا نرى أن الانجليز لم يكونوا متحمسين لانتصارات عبدالعزيز في حائل خوفاً من أن تتحول أنظاره فيما بعد إلى الحجاز.

كما أظهر الانجليز تخوفاً بالغاً من جراء انتصارات الأمير عبدالعزيز المتلاحقة ففي عام ١٩٢٢م حاولت بريطانيا عقد مؤتمر في المحمرة بين كل من ممثلي العراق والأمير عبدالعزيز حول تعيين الحدود بين العراق ونجد وتأمين طريق الحاج وذلك خوفاً من أن يبدأ عبدالعزيز وقواته بالزحف على تلك المناطق وضمها إلى حكمه.

الا أن الأمير عبد العزيز رفض الشروط التي بحثت في مؤتمر المحمرة لاعتقاده أنها ليست في صالحه وأن الانجليز يحاولون الضغط عليه لصالح العراق وكانت نتيجة ذلك خيبة أمل لكل من حكومة العراق وبريطانيا لكنهم لم يفقدوا الأمل بل بدأوا يحضرون لعقد مؤتمر ثان لحل المشكلات التي ظلت بلا حل كتحديد الحدود مثلا وبصورة نهائية.

وقد ظهر أن بريطانيا خلال المحادثات كانت تؤيد الجانب العراقي اذ أنها كانت ترعى مصالحه في ذلك الوقت وتقرر أخيراً انشاء منطقة محايدة بين البلدين واتفق الطرفان على استغلال تلك المنطقة بالتساوي وتعيين الحدود الحالية والتي هي الحد الفاصل بين العراق والمملكة العربية السعودية.

وقد حاول السير بيرسى كوكس أن يستغل فرصة وجود الأمير عبد العزيز في المؤتمر وطلب منه تحديد الحدود بين كل من الكويت ونجد ووضع منطقة محايدة هناك، وقد تم الاتفاق على ما هو قائم الآن:

لم يحلّ التصديق على معاهدة المحمرة ومؤتمر العقير المشكلات القائمة بين كل من نجد والعراق بل ساد التوتر من جديد بعد هدوء نسبي وذلك بسبب استمرار الغزو بين العشائر العراقية والبادية في نجد، ونتيجة لحالة التوتر هذه على الحدود أو عزت الحكومة البريطانية لمعتمدها السير بيرس كوكس ومن بعده نوكس رئيس المعتمدين السياسيين في الخليج بالاتصال بالأمير عبد العزيز واقتراح قيام مؤتمر لحل المشكلات القائمة بين كل من نجد والعراق وشرق الأردن والحجاز وتحت إلحاح الحكومة البريطانية لعقد ذلك المؤتمر اختير الكويت بأن يكون مكاناً لعقده وذلك للأسباب التالية:

(أ) كون الكويت يقع في الوسط بين نجد والعراق.
(ب) أن شيخها أحمد الجابر يتمتع بعلاقة طيبة مع الاطراف المتنازعة.
وقد وجهت الدعوة إلى الأمير عبد العزيز من قبل بريطانيا موضحة أن الهدف من ذلك المؤتمر ازالة الخلاف بين الحكام العرب وقد رحب السلطان عبد العزيز بالدعوة لكنه اشترط مقابل اشتراكه في المؤتمران تبحث مشكلاته مع كل قطر على حدة لئلا تشكل

هذه الدول جبهة واحدة مع اقتراح السلطان عبدالعزيز تأجيل المؤتمر إلى فبراير ١٩٢٤م بدلا من أواخر ١٩٢٣م وذلك لتهيئة الظروف الملائمة وقد دعت الحكومة البريطانية إلى مشاركة العراق في هذا المؤتمر لغرض اعادة النظر في معاهدة المحمرة.

وافق الأمير عبدالله أمير شرق الأردن على حضور المؤتمر.

بدأ مؤتمر الكويت في ١٧ ديسمبر ١٩٢٣م بحضور الوفد السعودي وكل من وفد العراق وشرق الأردن ولم يحضر وفد عن الحجاز ولم يعتذر عن المشاركة. ودارت بين تلك الوفود محادثات لمنع الغزوات وعملية الاتصال بالعشائر القاطنة على الحدود والتفكير في عقد معاهدات بتسليم المجرمين وبجباية الزكاة وغيرها. ويبدو أن الاتفاق على هذه الأمور لم يكن سهلاً، وقد أجل للنظر في أوجه الخلاف حتى ١٨ يناير ١٩٢٤م وبعد مشاورات واتصالات بين الحكومة العراقية والبريطانية استؤنفت الجولة الثانية من مؤتمر الكويت في التاريخ الذي تم الاتفاق عليه.

كانت بريطانيا تسعى من وراء ذلك إلى قطع الطريق أمام أي تفكير من قبل السلطان عبدالعزيز بإيصال حدوده إلى سوريا في الوقت الذي يرى السلطان عبدالعزيز أنه من الضروري الاتصال بسوريا بقصد التجارة، ويبدو أن مؤتمر الكويت لم ينجح في تخفيف حدة التوتر في المنطقة ونتيجة لإخفاق المؤتمر أصدرت الحكومة السعودية الكتاب «الأخضر النجدي» المتعلق بمؤتمر الكويت شارحة وجهة نظرها في الخلاف القائم مع الحكام المجاورين ومبدية استعدادها في حل الخلاف بالطرق السلمية مع الحفاظ على المصالح الوطنية.

لقد شعر السلطان عبدالعزيز أن مكانته في نجد قد قويت وأن نفوذه أصبح لا يعلى عليه محلياً، لهذا كان من البديهي أن يسعى إلى تحقيق طموحاته في توحيد أجزاء الجزيرة العربية التي كانت جزءاً من الدولة السعودية الأولى، وأمام تنامي قوته بدأ الشريف حسين يشعر بالخطر من تعاظم هذه القوة فبدأ بإيجاد العراقيل أمام حجاج منطقة نجد ومحاولة منع أي اتصال بين الحجاز ونجد، ونتيجة لهذا بدأ الشعور لدى السلطان عبدالعزيز وقواته يتنامى للزحف على الحجاز وأمام إلحاح المواطنين لاداء فريضة الحج ومعرفة الأمير عبدالعزيز بموقف الانجليز بدأ الموقف يتأزم، وبدأ النزاع

بين قوات الشريف حسين بقيادة ابنه عبدالله وقوات الأمير عبدالعزيز. وقد تمكن من الانتصار على قوات الشريف حسين في موقعة تربة وهذا يعتبر أول تصادم يقع بين الطرفين ولا شك أن انتصار قوات عبدالعزيز في تربة قد عزز من طموحاته ومكانته في الجزيرة العربية، وأمام إلحاح الشريف حسين على الانجليز في المطالبة بالتدخل لصالحه ضد قوات عبدالعزيز اضطر الآخر إلى سحب قواته من تربة مشترطاً حياد تلك المنطقة قبل الانسحاب وقد تم له ذلك.

وأمام اصرار السلطان عبدالعزيز ومواطنيه لأداء فريضة الحج وعدم موافقة الشريف حسين على السماح بذلك بدأ السلطان عبدالعزيز وأعوانه ينظرون إلى أن الصراع صراع ديني، يلزم دولة مسيحية - كبريطانيا - أن تلتزم جانب الحياد، وقد ظهر أن اتباع مثل تلك الاستراتيجية من قبل السلطان عبدالعزيز سوف يجعل بريطانيا في موقف حرج فيما لو فكرت في التدخل في الخلاف، وقد نجح الأمير عبدالعزيز في تحييد بريطانيا بالنسبة لهذا الصراع وبدأ بالزحف على الحجاز حيث تمكن من ضم الطائف ودخول مكة ومحاصرة المدينة وجدة واستسلامهما فيما بعد.

وفي أكتوبر ١٩٢٦م قامت الحكومة البريطانية باقتراح مسودة معاهدة لتقديمها للسلطان عبدالعزيز وكان الاقتراح البريطاني يتضمن تعهد كل من الطرفين بعدم استعمال منطقته كقاعدة لحركات عدائية، وطلبت من السلطان عبدالعزيز عدم التدخل في المناطق التي لا تزال تحت سيطرة بريطانيا.

في بداية نوفمبر ١٩٢٦م قامت الحكومة البريطانية بالإيعاز للمستر جوردن القنصل البريطاني بجدة بالاتصال بالأمير عبدالعزيز واطلاعه على محتويات تلك المسودة، وقد أوضحت بريطانيا لمندوبها هنا بعدم التقيد حرفياً بنص تلك المسودة لاعتقادهم بأن السلطان عبدالعزيز سوف يرفض بعض هذه الاقتراحات.

في نهاية نوفمبر من العام نفسه بدأ المستر جوردن يطرح تلك المقترحات على السلطان عبدالعزيز بقصد الوصول إلى عقد اتفاقية، لكن الاختلافات في وجهات النظر كانت كبيرة حيث تعذر الوصول إلى اتفاق ورفض السلطان عبدالعزيز الاعتراف بالوضع الخاص البريطاني في فلسطين وذكر أنه لا يعترض على الاوضاع المتصلة

بمشكلة الحدود مع العراق والأردن حيث أن ذلك قد اتفق عليه في معاهدتي جدة وبحره وبحضور المندوب البريطاني السير جلبرت كلايتون.

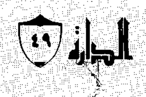
أما في ما يتعلق بالوضع في فلسطين فهو لن يقبل أن يتخلى عن أراضٍ مقدسة لقوى غير اسلامية حيث أن ذلك مخالفاً لمبادئه السياسية والدينية. أما فيما يتعلق باتصالاته بالدول المجاورة فان ذلك لا يتمشى مع مكانته السياسية والاجتماعية في شبه الجزيرة العربية، ويعتبر تحجيماً لحركاته خارج منطقة حكمه كما أنها تقلل من استقلاليته في ادارة شئونه كحاكم مستقل.

لذا رفض السلطان عبدالعزيز أيضاً اعطاء القنصل البريطاني في جدة وضعاً خاصاً ليقينه أن ذلك بعتبر تدخلاً في شئونه الداخلية، وقد طالب السلطان عبدالعزيز أن تمتنع بريطانيا عن فرض حصار عليه في حال الحرب وذلك بقصد الحصول على الذخيرة والسلاح.

وبعد ثلاثة أسابيع من المناقشات المضنية اضطر السير جوردن إلى الذهاب إلى لندن في ديسمبر ١٩٢٦م لمناقشة حكومته هناك وشرح وجهة نظر ابن سعود واقتراحاته بالنسبة لعقد اتفاقية جديدة. وأمام اصرار وتعاظم نفوذ السلطان عبدالعزيز في المنطقة اضطرت بريطانيا في فبراير ١٩٢٧م إلى صياغة مسودة جديدة تتنازل بمقتضاها عن كثير من مطالبها والأخذ بعين الاعتبار بالشروط والاقتراحات التي أضافها السلطان عبدالعزيز لتلك المسودة.

وفي ابريل ١٩٢٧م قامت الحكومة البريطانية بتفويض السير جلبرت كليتون لبدء مفاوضات مع السلطان عبدالعزيز حول معاهدة جديدة تلغي معاهدة العقير السابقة، لذا وقع الاختيار على السير كلايتون بحكم خبرته الطويلة في الشرق الأوسط بالاضافة إلى نجاحه في الوصول عام ١٩٢٥م إلى توقيع معاهدتي بحره وجدة المتعلقة بمشكلة الحدود.

بدأت المفاوضات بين المندوب البريطاني والسلطان عبدالعزيز في جدة في العاشر من مايو ١٩٢٧م بعد مناقشات مضنية اضطر المبعوث البريطاني



كلايتون إلى التنازل عن تفسير الاقتراح القاضي بالتزام كل من الطرفين بعدم استعمال المناطق التي تحت نفوذه لاستخدامها ضد مصالح الدول الأخرى وقد نجح السلطان عبدالعزيز في تغيير معني ذلك الشرط.

لذا قبل المندوب البريطاني كلايتون بتلك الشروط التي قدمها مؤخراً السلطان عبدالعزيز حيث أنه كان مخولا من قبل وزارة الخارجية البريطانية بذلك.

وبعد أن أخذت هذه المفاوضات مدة طويلة بين الأخذ والرد وتشدد كل جانب في مطالبة - تم الوصول إلى اتفاقية وقعت في جدة بين كل من الأمير فيصل بن عبدالعزيز نيابة عن أبيه والسيد جلبرت كليتون المندوب البريطاني في العشرين من مايو ١٩٢٧م وكانت مدة صلاحيتها سبع سنوات الا أنه أضيف فيما بعد مادة إليها تبقيها سارية المفعول بين الطرفين حتى يبدى أحدهما الرغبة في تغيير أحدى بنودها وقد وثقت المعاهدة في ١٧ سبتمبر وجدد التوقيع عليها في ١٩٣٦م و ١٩٤٣م مع قليل من التعديل وعرفت بمعاهدة (جدة).

لقد استفاد السلطان عبدالعزيز كثيراً من تلك المعاهدة فهي أولا ألغت معاهدة العقير وأدت إلى الاعتراف الكامل من قبل بريطانيا بملكية السلطان عبدالعزيز كسلطان لنجد وملكا على الحجاز وأعطته الاستقلال التام فيما يتعلق بسياسته الداخلية والخارجية كما أعطته الحق بأن لا يقبل بوجود أي قوى عسكرية أجنبية على أراضيه.

لهذا فهو الآن حر في اقامة العلاقات السياسة والاقتصادية كيفما تمليه عليه مصلحة بلاده مع أحقيته في اعطاء امتياز التنقيب عن النفط لمن يرغب.
ولا شك أن هذا الانجاز يعتبر كبيراً اذا ماقورن في الوقت نفسه بالوضع في بعض البلاد العربية المجاورة والتي لاتزال تحت السيطرة البريطانية مع وجود قطاعات عسكرية على أراضيها.

وقد منح الملك عبدالعـزيز الشركـة الأمريكيـة ستانـدر أويل أوف كليفـورنيا حق التنقيب عن النفط في شرق المملكة عام ١٩٣٣م عـلى الرغم من وجـود عرض من شركـة بترول العراق البريطانية الا أنه فضل العرض الامريكي بقصد ايجاد نوع من التوازن الاقتصادي والسياسي لصالح المنطقة.

● المراجع العربية ●

١ - شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز .... خير الدين الزركلي

٢ - تاريخ نجد وملحقاتها .... أمين الريحاني

٣ - صقر الجزيرة .... أحمد عبدالغفور عطار

٤ - تاريخ المملكة العربية السعودية .... صلاح الدين مختار

٥ - السعوديون والحل الإسلامي .... جلال كشك

٦ - توحيد المملكة .... المانع

٧ - أحسن القصص في سيرة جلالة الملك عبدالعزيز .... خالد الفرج

٨ - العربية السعودية .... عبدالكريم أبي الخيل

٩ - معجزة فوق الرمال .... أحمد عسه

١٠ - قلب جزيرة العرب .... فؤاد حمزه

١١ - البلاد العربية السعودية .... فؤاد حمزه

١٢ - تاريخ ملوك آل سعود .... سعود بن هذلول

١٣ - تاريخ الكويت السياسي .... الشيخ حسين خزعل

١٤ - من شيم الملك عبدالعزيز .... فهد المارك

١٥ - عبدالعزيز .... ديبورت ميكوش

١٦ - الخليج العربي في التاريخ السياسي .... سعيد نوفل

١٧ - تاريخ العراق الحديث .... عبدالعزيز نوار

١٨ - تاريخ الكويت .... عبدالعزيز الرشيد

١٩ - خمسون عاماً في جزيرة العرب .... حافظ وهبه

٢٠ - تاريخ الأحساء السياسي .... فؤاد نخله.

• SOUURCES •

1. Philby H. St., Arabia.
2. Philby H. St., Arabian Days.
3. Philby H. St., Arabian Jubilee.
4. Philby H. St., Arabia of the Wahhabis.
5. Philby H. St., Saudi Arabia.
6. Philby H. St., Arabian oil ventures.
7. Musil Alois, Northern Nejd.
8. Musil Alois, Arabian Deserta.
9. Morris J., The Hashmite Kings.
10. Kelly J., Arabia, The Gulf and the West.
11. Kelly J., Eastern Arabian Frontiers.
12. Kelly J., Britain & the Persian Gulf 1795 - 1880.
13. Kliemsn A., Foundation of British Policy in the Arab World.
14. Lawrence, T., Seven Pillars of Wisdom.
15. Leatherdale C., Britain and Saudi Arabia.
16. Lipsky G., Saudi Arabia, Its Poeple, Its Society, Its Culture.
17. Longriggs, Iraq, 1900-1950.
18. Steiner, The Foreign Office & Foreign policy.

○ ○ ○

(إن المسلمين بخير إذا اتفقوا وعملوا بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ليتقدم المسلمون للعمل بذلك فيتفقوا فيما بينهم على العمل بكتاب الله وسنة نبيه وبما جاء فيهما والدعوة إلى التوحيد الخالص فإنني حينذاك أتقدم إليهم فأصير جنباً إلى جنب، وفي كل عمل يعملونه وفي كل حركة يقومون بها).

الملك عبدالعزيز